

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[429] يُحْشَرُونَ مَعَ آبَائِهِمْ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ لِبَطْلَانِهِ إِسْلَامِيًّا وَلِمَنَافَاتِهِ لِقَاعِدَةٍ (ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)، وَإِنَّ سَبَّ الذرية لا تَوَاضِعُ بِجَرِيرَةِ الْآبَاءِ، وَهِيَ بِالتَّالِي لَا تُعَاقِبُ بِسَبَبِ ذُنُوبِ الْآبِ وَالْأُمِّ. وَلِهَذَا السَّبُّ بِالذَّاتِ، فَقَدْ قُلْنَا بِأَنَّ الْأَبْنََاءَ غَيْرَ الشَّرْعِيِّينَ (أَوْلَادُ الزَّانَا) لَيْسَتْ لَهُمْ مِنْ جَرِيرَةِ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ، وَأَنَّ لَهُمْ بِمَنَآئِ عَنِ الذَّنْبِ وَأَنَّ أَبْوَابَ السَّعَادَةِ أَمَامَهُمْ مَفْتُوحَةٌ، إِذَا أَرَادُوا هَمَّ ذَلِكَ، بِالرَّغْمِ مِنْ اعْتِرَافِنَا بِصُعُوبَةِ تَرْبِيَّتِهِمْ! 4 - قَاعِدَةٌ "أَصْلُ الْبِرَاءَةِ" وَآيَةٌ! مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ: فِي عِلْمِ الْأَصُولِ، وَفِي بَحْثِ "الْبِرَاءَةِ" إِسْتَدْلُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى ...) عَلَى أَنَّ فَهْمَ الْآيَةِ يُؤَوِّضُ أَنَّ الْمَسَائِلَ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِلْعَقْلِ إِدْرَاكُهَا أَوْ الْقَطْعُ بِهَا، لَا يُعَاقِبُ عَلَيْهَا إِلَّا نَسَانٌ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ لِيُبَيِّنُوا الْأَحْكَامَ وَالتَّكَالِيفَ وَالْوَطَائِفَ. وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الْعِقَابِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ تُقَمْ الْحُجَّةُ عَلَيْهَا; وَقَاعِدَةٌ "أَصْلُ الْبِرَاءَةِ" لَا تَعْنِي شَيْئًا غَيْرَ هَذَا; أَيْ لَا عِقَابَ بِدُونِ حُجَّةٍ مِنَ الْعَقْلِ أَوْ النُّقْلِ. أَمَّا قَوْلُ الْبَعْضِ: إِنَّ مَفَادَ "الْعَذَابِ" فِي الْآيَةِ أَعْلَاهُ، هُوَ "عَذَابُ الْإِسْتِئْصَالِ" مِثْلُ طُوفَانِ نُوحٍ، فَلَا دَلِيلَ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ - كَمَا قُلْنَا - إِنَّ أَطْلَاقَ الْآيَةِ يَنْفِي ذَلِكَ، وَهِيَ تَشْمَلُ بِالتَّالِي كُلَّ عَذَابٍ وَعِقَابٍ. * * *